صبري، مسعود.
عيسى عليه السلام
إعداد/ مسعود صبري، ـــ الجيزة
شركة ينابيع، 2010
ص؛سم ـــ (سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين)
تدمك: 0 048 498 977 978
١- قصص الأنبياء.
٢- قصص القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: 2010/22582

عيسى عليه السلام

إعداد/ د. مسعود صبري
رسوم / ياسر سقراط
جرافيك / منى محمد أمين
عبير صبحي البحيري
مراجعة لغوية/ إيمان الديب

عَاشَ عِمْرَانُ، وَهُوَ أَحَدُ الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ فِي زَمَنِ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلامُ-، مَعَ زَوْجَتِهِ، وَكَانَتْ زَوْجَةً صَالِحَةً، ولَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُنْجِبُ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ رَأَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ طَائِرًا مَعَ فَرْخٍ لَهُ، فَاشْتَهَتِ الْوَلَدَ، وَنَذَرَتْ إِنْ رَزَقَهَا اللَّهُ -تَعَالَى- وَلَدًا أَنْ تَجْعَلَهُ خَادِمًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ -تَعَالَى- دَعَاءَهَا، فَحَاضَتْ، ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْ زَوْجِهَا.

وَمَرَّت الأَيَّامُ.. وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلامَاتُ الْحَمْلِ عَلَى امْرَأَةِ عِمْرَانَ، وَزَوْجُهَا فَرِحٌ؛ يَنْتَظِرُ الْمَوْلُودَ الَّذِي يَتَمَنَّاهُ.. وَمَرَّت التِّسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَلَمَّا جَاءَ مَوْعِدُ الْوَضْعِ، وَضَعَت امْرَأَةُ عِمْرَانَ أُنْثَى، وَكَانَتْ تَتَمَنَّى وَلَدًا؛ لِيَخْدُمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَاتَّجَهَتْ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ، وَالْحَدِيثِ أَنَّهَا وَلَدَتْ أُنْثَى، وَسَمَّتْهَا مَرْيَمَ، وَمَعَ هَذَا، فَقَدْ وَفَّتْ بِمَا وَعَدَتْ، وَعَزَمَتْ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ مَرْيَمَ خَادِمَةً لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ.

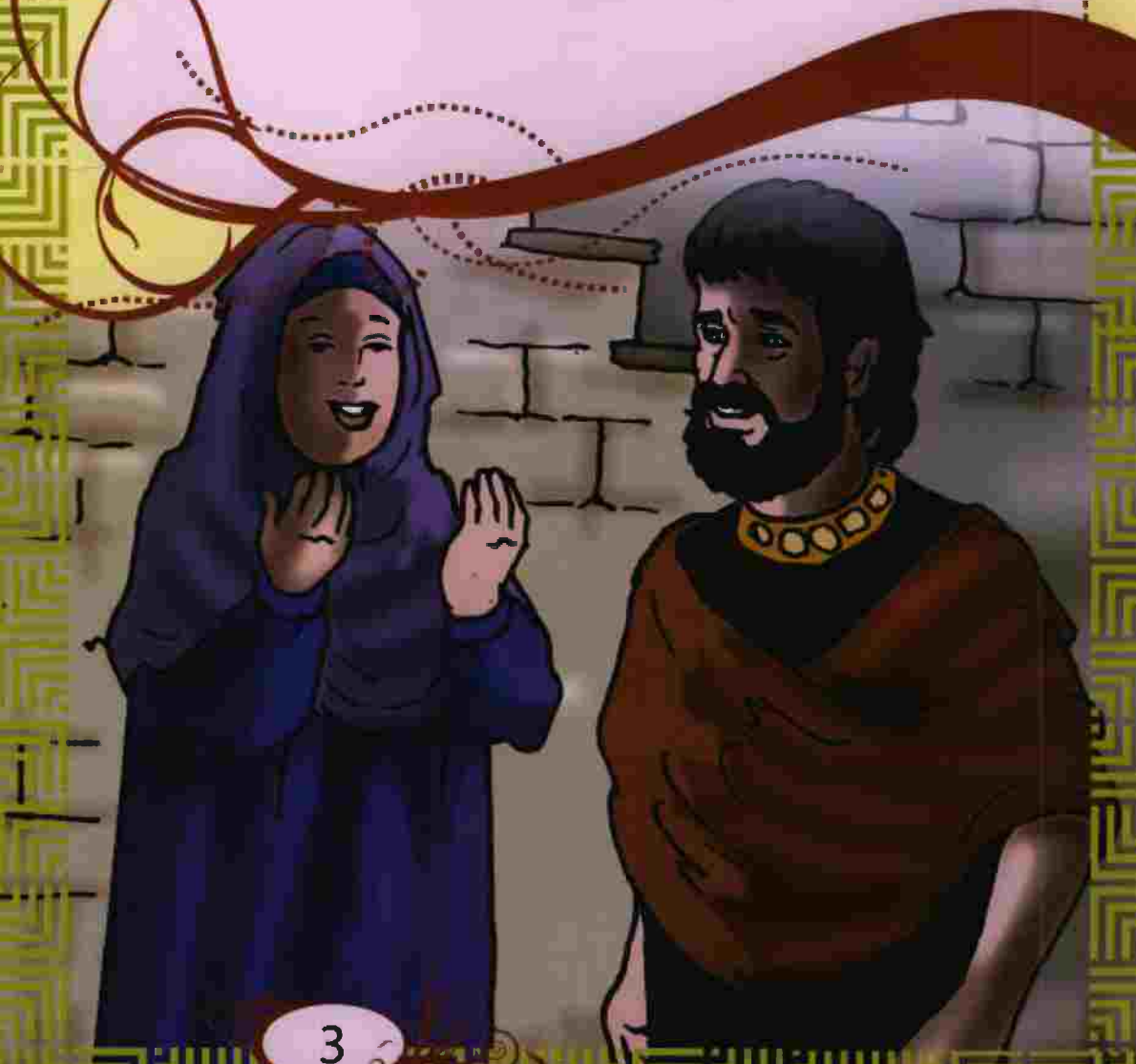

وَمَكَثَتْ مَرْيَمُ مَعَ أُمِّهَا عَامَيْنِ كَامِلَيْنِ، هُمَا مُدَّةُ الرَّضَاعِ، ثُمَّ لَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ، وَخَرَجَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَكَانَ عُبَّادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَاكَ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ كَفِيلَ مَرْيَمَ، وَمِنْهُمْ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلامُ- زَوْجُ أُخْتِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ، وَلَكِنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَرِعُوا، وَيَنْظُرُوا مَنِ الَّذِي يَأْخُذُ مَرْيَمَ، وَيَكُونُ كَفِيلاً لَهَا.

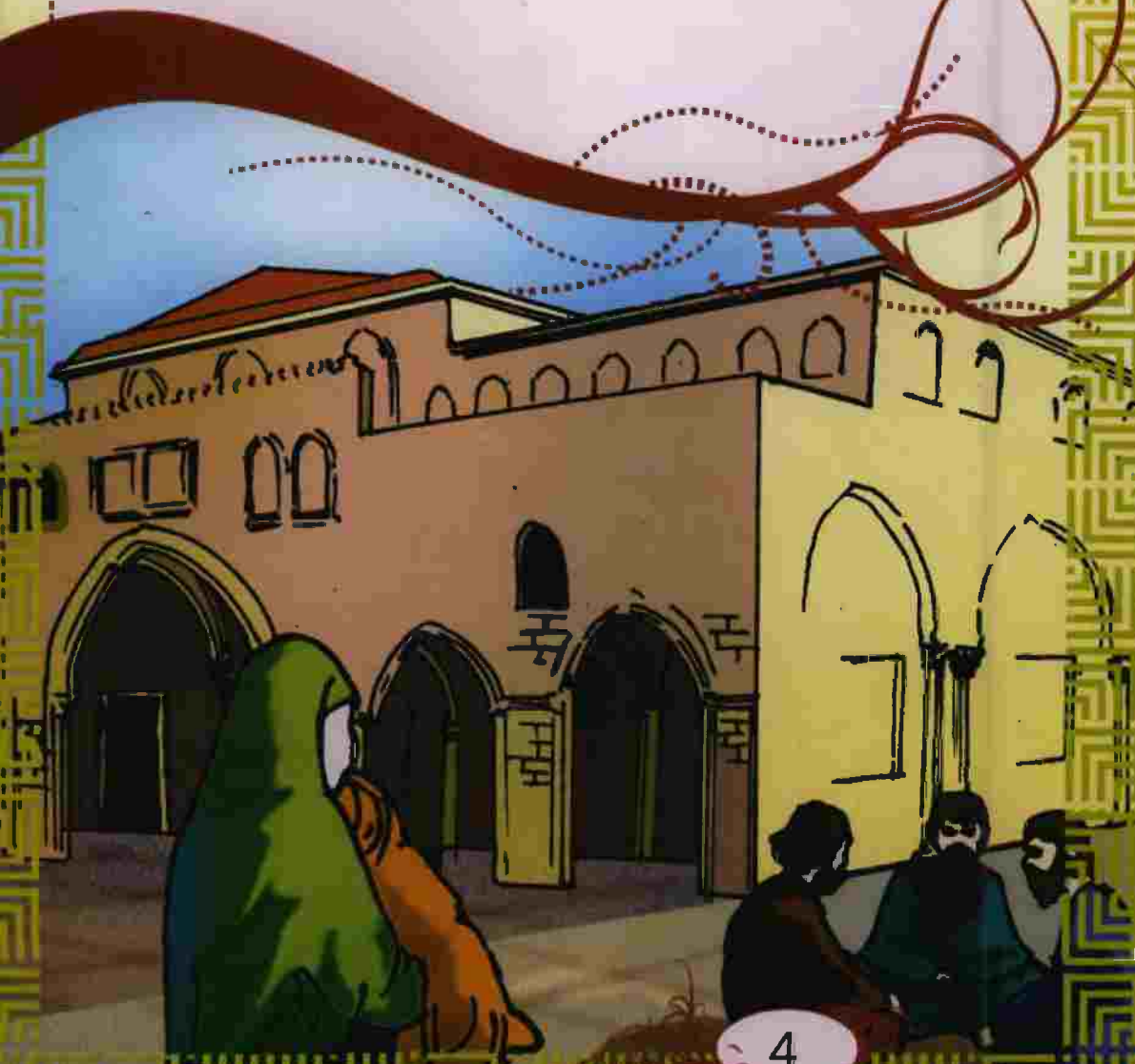

وَجَاءَ وَقْتُ الْقُرْعَةِ، وَوَضَعَ كُلٌّ مِنْهُمْ قَلَمَهُ، وَوَضَعُوا الأَقْلَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَتَوْا بِغُلَامٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ أَمَرُوهُ أَنْ يَأْتِيَ بِقَلَمٍ، فَظَهَرَ قَلَمُ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعُوا مَرَّةً أُخْرَى، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَرْمِيَ كُلٌّ مِنْهُمْ قَلَمَهُ فِي النَّهْرِ، وَالْقَلَمُ الَّذِي يَجْرِي خِلَافَ جَرْيَةِ النَّهْرِ يَكْفُلُهَا، فَخَرَجَتِ الْقُرْعَةُ لِزَكَرِيَّا، فَكَرَّرُوهَا مَرَّةً ثَالِثَةً، فَخَرَجَتِ الْقُرْعَةُ لَهُ أَيْضًا، فَكَفَّلَهَا اللَّهُ زَكَرِيَّا.

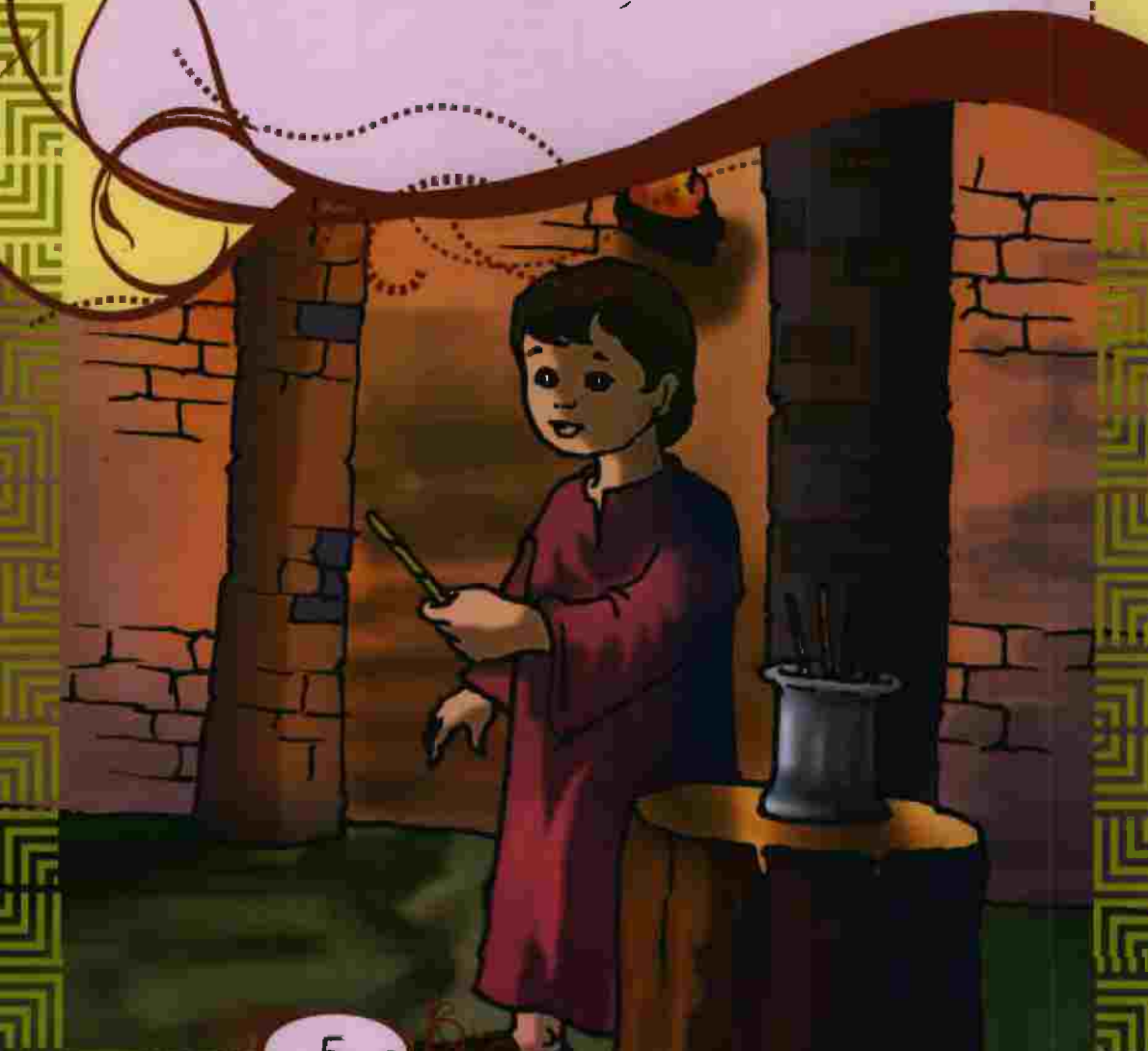

وَاتَّخَذَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِمَرْيَمَ مَكَانًا شَرِيفًا فِي الْمَسْجِدِ، لاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، فَكَانَتْ تَعْمَلُ فِي الْمَسْجِدِ وَقْتَ نَوْبَتِهَا، ثُمَّ تَقْضِي نَهَارَهَا وَلَيْلَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَظَهَرَتْ لَهَا كَرَامَاتٌ عَدِيدَةٌ، فَقَدْ كَانَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلامُ- يَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَيَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقًا، كَانَ يَجِدُ فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، فَيَسْأَلُهَا: " يَا مَرْيَمُ، مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا؟ " فَتَقُولُ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وَظَلَّتْ مَرْيَمُ عَلَى عِبَادَتِهَا، حَتَّى كَانَ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ -تَعَالَى-. وَقَدْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِيهَا، تُبَشِّرُهَا أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- اصْطَفَاهَا، وَطَهَّرَهَا، وَجَعَلَهَا أَفْضَلَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ مَرْيَمَ أَنْ تُكْثِرَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ؛ لِاخْتِيَارِ اللَّهِ لَهَا وَاصْطِفَائِهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛ فَكَانَتْ مَرْيَمُ تَزِيدُ مِنْ عِبَادَتِهَا لِلَّهِ.

لَقَدْ رَأى الْيَهُودُ أَمَامَهُمْ مُعْجِزَةً، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهَا، إِنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى مَكَانَتِهِمْ، وَجَلَسَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ مَعَ أَنْفُسِهِمْ.فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَرَأَيْتُمْ؟ لَقَدْ نَطَقَ الرَّضِيعُ، إِنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا، وَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّنَا وَسِيلَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّنَا لَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الأَمْوَالَ الَّتِي نَغْفِرُ لَهُمْ بِهَا الذُّنُوبَ. وَقَالَ ثَالِثٌ: لابُدَّ مِنْ حَلٍّ، لابُدَّ مِنْ قَتْلِ هَذَا الرَّضِيعِ، قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ. وَذَهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّ مُلْكَهُ سَيَزُولُ، وَخَافَتْ مَرْيَمُ عَلَى وَلَدِهَا: فَهَاجَرَتْ بِهِ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِفَتْرَةٍ.

كَبُرَ عيسَى -عَلَيْه السَّلامُ-. وَقَدْ أَيَّدَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِمُعْجِزَات. فَكَانَ يَجْلِسُ مَعَ النَّاس. وَيَرَوْنَ مُعْجِزَاته الَّتي أَيَّدَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهَا. فَكَانَ يَأْخُذُ مِنَ الطِّين؛ لِيَصْنَعَ مَا يُشْبِهُ الطَّيْرَ. ثُمَّ يَنْفُخَ فيه. فَتكُونُ طَيْرًا يَطِيرُ فِي الْهَواءِ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَكَانَ النَّاسُ يَجِيئُونَ إِلَيْه بِالْوَلَد الأَكْمَه الَّذي وُلِدَ أَعْمَى. فَيَمْسَحُ عَلَى عَيْنَيْه. فَيُبْصِرُ بِعَيْنَيْه. وَيَجِيئُهُ الْمَرْضَى. فَيَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ. فَيَشْفِيهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ -تَعَالَى-.

وَظَلَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- يَدْعُو بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَآتَاهُ اللَّهُ -تَعَالَى- الإِنْجِيلَ، وَعَلَّمَهُ التَّوْرَاةَ. فَكَانَ لا يَتَوَانَى عَنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ ضَلُّوا، ولَكِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا حَقًّا، فَأَخْبِرْنِي مَا الطَّعَامُ الَّذِي جَهَّزَتْهُ زَوْجَتِي لِي؟ فَيَقُولُ لَهُ: عِنْدَكُمْ فِي الْبَيْتِ كَذَا وَكَذَا، فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ إِلَى الْبَيْتِ، فَيَجِدُ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ عِيسَى، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِعِيسَى -عَلَيْهِ السَّلامُ-.

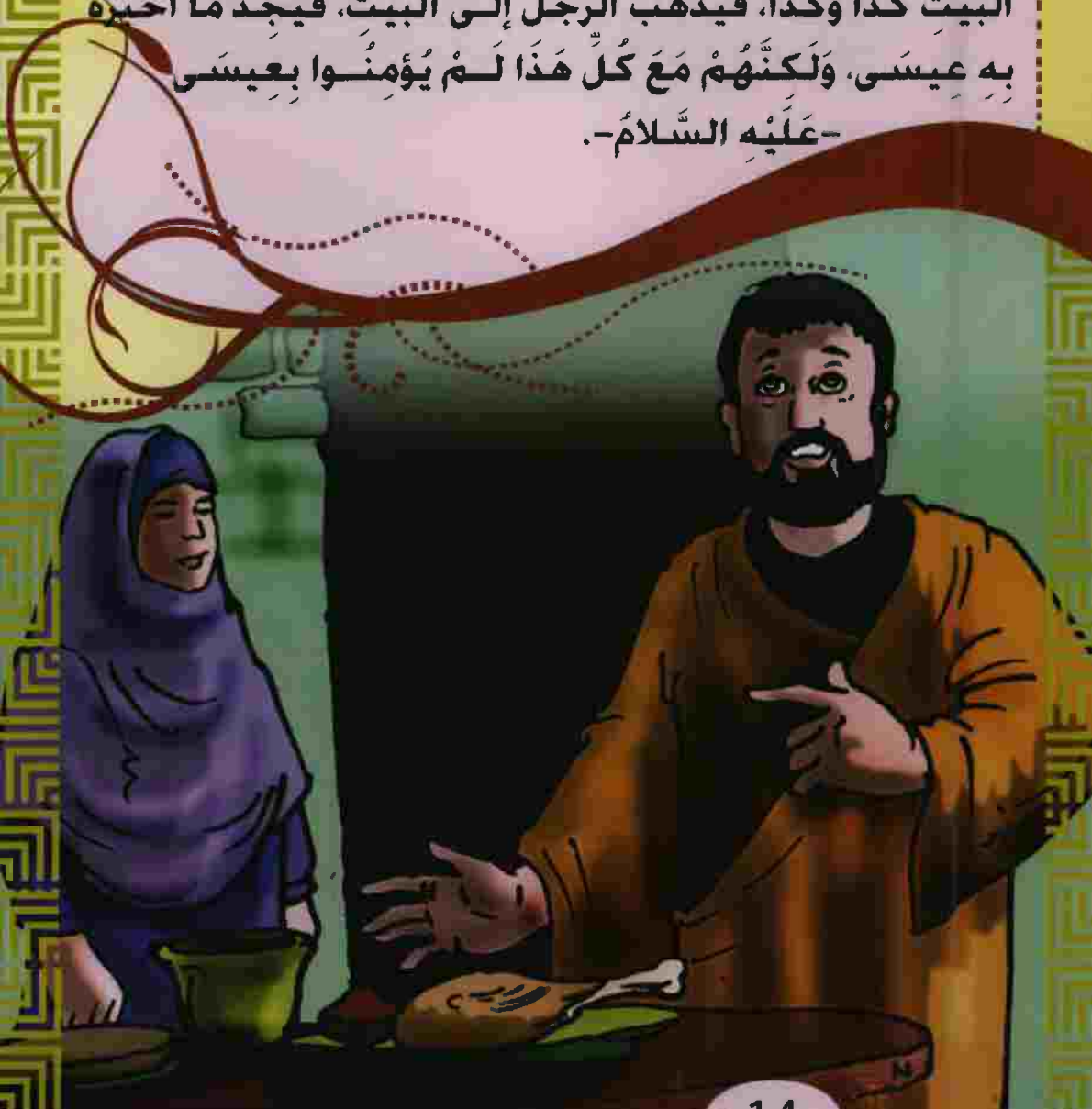

وَظَلَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، فَآمَنَ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، حَتَّى هَؤلاَءِ فَقَدْ أَتْعَبُوا عِيسَى، فَقَدْ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا، فَدَعَا عِيسَى رَبَّهُ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ -تَعَالَى- دُعَاءَهُ، ولَكِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- حَذَّرَ مَنْ يَكْفُرُ بِهَا بَعْدَ نُزُولِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَكَلَ الْحَوَارِيُّونَ مِنْهَا، فَكَانَتْ لَهُمْ عِيدًا مِنْ أَعْيَادِهِمْ.

وانتشر أمْرُ عيسى -عَلَيْه السَّلامُ- ومَع إنَّهُ لَمْ يُؤْمنْ لَهُ كَثيرٌ منَ الْيَهُود، وَلَكنَّهُمْ ظَلُّوا يَتآمَرُونَ عَلَيْه، فَفَكَّرُوا في قَتْله، وَفي الْيَوْم الَّذي فَكَّرَ فيه الْيَهُودُ في قَتْل عيسى -عَلَيْه السَّلامُ-. أخْبَرَ عيسى الحَوارِيِّينَ بمُؤامَرة الْقَتْل، وَقالَ لَهُمْ: مَنْ منْكُمْ يُصْلَبُ مَكاني، وَيَكُونُ مَعي في الْجَنَّة ؟ فَقامَ شابٌّ، فَقالَ لَهُ: اجْلسْ، لأنَّهُ كانَ صَغيرَ السِّنِّ. ثُمَّ رَدَّدَ السُّؤالَ، فَقامَ هَذا الشَّابُّ، فَأسْقطَ عَلَيْه شَبَهُ عيسى، وَلَمَّا جاءَ جُنُودُ الْمَلك الَّذي اسْتَمَعَ للْيَهُود، وَأصْعَدَ اللَّهُ عيسى إلَى السَّمَاء منْ فَتْحَة منَ الْبَيْت، وَقَبَضَ الْجُنُودُ عَلَى شَبيه عيسى، وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ. وَقَدْ أخْبَرَنَا النَّبيُّ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنَّ عيسى -عَلَيْه السَّلامُ- سَيَنْزلُ في آخر الزَّمان، يَقْتُلُ الْخنْزيرَ، وَيَكْسرُ الصَّليبَ، وَيُقيمُ الْعَدْلَ في الأرْض، ثُمَّ يَمُوتُ، لأنَّ كُلَّ إنْسَان مَكْتُوبٌ عَلَيْه الْمَوْتُ.